

# لماذا يفرح قليل الأمة بالعيد ويحزن الباقون؟!



الخميس 7 يوليو 2016 01:07 م

كتب: محمد ثابت

بقلم: محمد ثابت

فتاة عراقية تبدو مقبلة على سن الحياة والتفتح وجريان القلم، إلى جوارها سيدات بملابس المنزل، فيما يبدو إنهن يحملن متاعهن الشخصي ويواصلن الزحف فراراً من جحيم تنظيم الدولة "داعش"، ويترقبن بحذر خوفاً من ميليشا "الحشد الشعبي" الشعبية المجرمة التي وافق "حيدر العبادي"، رئيس الوزراء العراقي؛ وفقاً لأوامر سادته في البيت الأبيض والكرملين و(تل أبيب) على إلحاقهم بالقوات الحكومية التي قال إنها ستحرر الفلوجة، فما استطاع إتماماً للأمر، وما هو إلا أن زاد مآسيها مأساة أكبر جديدة، وفي خضم المهزلة يذهب "سامح شكري"، وزير الخارجية المصري، السبت الماضي (2 من يوليو/تموز) في زيارة ليوم واحد لبغداد ليدرس مع مجرميها، وأكابر زبانياتها دحر (الإرهاب)، المجرمون قطاع الطرق هذه الأيام صاروا هم حماة الديار دعاة محاربة الإرهاب في ديار المسلمين، ولا ينكر إرهاب داعش منكر، ولكن الاصل أن حكماً، كان الاحتلال الفرنسي والإنجليزي والفرنسي أهون منهم بمراحل ف هؤلاء هم الإرهابيون الأصليون، اللهم إلا من رحم ربي!

فتاة عراقية بملابس المنزل تفر وسط طوفان من النسوة الضعيفات من جحيم التنظيم والمليشيا والحكومة العراقية، زمن الصورة متى؟ ربما كان منذ عشرة أيام، بدأت المعارك في 23 من مايو/أيار الماضي، وقيل حققت أغراضها منذ أيام، وقد تكون فارة بجلدها منذ سنتين مريرتين مرت بأهلها وبها، فيما الفُتعمات من أمثالها في الخليج يتمرغن في النعيم غير داريات بحالها، زاد الله من نعيمه على الجميع لكن ووهبنا القدرة على الشعور بألام الأمة الواحدة المفترض إنها لحم ودم واحد

لما قامت حرب تحرير الكويت، وبدء شن الهجمات على العراق مما يُسمى التحالف، وكنت في عامي الدراسي الأخير، انتابني مشاعر متباينة كان أبرزها الألم، ورآني على هذه الحالة أحد أبرز الأساتذة، وكان تلميذاً مباشراً للراحل "طه حسين"، فقال:

. دع عنك الضيق وإلا فسيطول حزنك .. العراق لا يصلح معه إلا هذا الحال .. وهذه الامة بالغة التخلف ..

أعرف وأعلم أن هناك عوامل وراثية تتحكم بشعوبنا، وتجعل من البعض قاسي القلب، سريع الميل إلى الغضب، وربما الحماسة، ولكن أو ليس الفرنسي ابن الجنوب مغاير للباريسي، أو ليس بريطاني الريف غير ساكن لندن، وهل هؤلاء جميعهم غير متساوين في نسبة التحضر، وفيهم إن لم يكن أكثرهم غير هذا من الأساس؟

ولكن على أي أساس نحكم على ابن و بنت العراق بالموت حتى في خواطرنا حينما يصلنا خبر عن انفجار؟ أو معركة أو قصف وما شابه، وما أكثر هذه الأمور في عالمنا حتى إن مبدأ المُسالمة في الأساس صار هو الخروج عن العهد، وصارت الدماء والعنف هي الأساس، في سوريا يتقاسم البشر كسرة الموت، وفي فلسطين المحتلة وفي مصر ..والذين لا يموت مظلوماً في عالمنا العربي الإسلامي يموت بما يُسمى الإرهاب

تراه متحفزاً صلد الوجه لا يعرف الابتسام إلى معالمه طريقاً، وإن داعبته، وابتسمت في وجهه، ذلك ضابط في مطار، أو شرطي في مخفر، ولا أتحدث عن عالمنا العربي، بل عن تركيا ودول تسعى نحو التحضر، أو تجهمه سبباً لقتله؟ كما فعل أحد ثلاثة هاجموا مطار أتاتورك منذ أيام ونشروا الأشلاء فيما يعاني ضابط ينتظر أن يزرقه الله بمولود آلام الموت، وكان صوّر نفسه مع حفاظاته (البديل العصري عن غيارات ولفافات المولود المعروفة) على صورة قلب قبل أيام من إطلاق أحد الذين لم تعرف الإنسانية إلى قلوبهم رصاصة إليه ليرقد بين

الحياة والموت، وتدعوا أخته 76 مليون تركي لكي يدعوا الله له بالسلامة، وليتها طلبت من أكثر من مليار ونصف مسلم عدد مسلمي العالم الدعاء له، ففضيته تهب الأمة كلها!

ما ذنب التركي المصاب إن كانت لقمة عيشه جاءت على ثغر من ثغور بلاده فطلب بطاقة هوية مجرم؟

وما ذنب الفتاة الصابرة المهاجرة بملابسها، وعودها الغض الطري، ووجهها المونق الذي يريد الابتسام حتى في قلب الهزيمة النفسية والمعنوية والجسدية؟

بل ما ذنب جداتنا الفلسطينيات اللواتي رحلن بملابسهن فقط عقب ما يسمى بـ نكبة فلسطين في عام 1948م؟

وأخذن مفاتيح الدوّار على أمل العودة فما عدن ولا بقي الدار لهن!

وما ذنب المقصوفين المحاصرين في ريف دمشق وداريا وحماة وبقية مدن سوريا بلا رحمة؟

وما ذنب المهجرين الشرفاء، بعيداً عن الخونة والمندسين الذين قاربوا جعل مثلي يفكر في عد أصابعه بعد مصافحة أحد أبناء وطنه المباشر بخاتمة المشكوك فيهم؟

وما ذنب صغار اليمن إذ يموتون برصاص الإخوة من الخليجيين المشاركين في التحالف؟

أو ذنبهم إنهم انتسبوا إلى هذه البلاد؟ في هذه الحقبة البالغة المرارة تاريخياً

وما فضيلة صغار الإمارات وبنات أبو ظبي، وأبناء المملكة بهذا المقياس إذأ، حمى الله الجميع؟

لا شيء معلوم في ذلك سوى أن الله أراد تخفيف حمل كل هؤلاء المظلومين، وتغليظ عقوبة الظالمين وأتباعهم، وصدق "أحمد شوقي" رحمه الله إذ يقول:

ولأمر ما وسر غامض تتسعد النطفة أو يشقى الجنين

فوليد تسجد الدنيا له وسواه في زوايا المهملين

بل صارت أمة اليوم يا "أمير الشعراء" في زوايا المهملين .. اللهم رحمتك!

أمة يفرح بعض أهلها بالعيد من الذين آثر حكامها الركوع أكثر لأعدائها، فيما أغلب هذه الأمة يببالغ في الحزن، فهل سيتوقف طيران الأسد الطاغية وبوتين عن قصف أهلنا؟ أم إن مليشيا الحشد وداعش سيقررون تقوى الله في ضعفاء الأمة فيكفون عن ذبح ما تبقى بهم من دماء؟ أم إن بعض الحكام سيكفون عن التأمير على ضعفاء المسلمين، وهم بالمناسبة حكام مسلمون بالاسم؟

وهو عيد شرع الله لأمته، حينما تكون في أصح حالاتها، الفرحة فحسب فيه

يبقى أن لله سُنة في كونه .. ولكي تفيق الأمة ستظل الضربات تلاحقها حتى تنهض وتنفض عنها رداء الظلمة الاقربين من حكامها أولاً، وهذا سيتحقق، وإن لم تطل أعمارنا لنراه، يوم نحسن فهم ديننا عملياً وننقي ضمائرنا، جميعاً، ونبعد عنا المندسون الخونة العملاء داخل صف الشرفاء أولاً

متى هو؟

لعله قريب بإذن الله

ويومئذ نفرح وتقر أعيننا بالعيد وتمكين الله!

المقالات المنشورة تعبر عن رأي كاتبها فقط ولا تعبر بالضرورة عن رأي الموقع